الانزياح التركيبي في سورة «المؤمنون» المباركة التقديم والتأخير أنموذجاً

أستاذ مشارك. صادق فتحي دهكردي الباحثة. حسنات خزرجي
قسم اللغة العربية وآدابها/ جامعة طهران/ فرديس فارابى/ إيران

The turbulence of the Turk in the blessed "believers" is an introduction and delay as a model

Ass.Prof. Sadiq Fathi Dehkardi Researcher. Hassant Khazraji
Department of Arabic Language and Literature / Tehran University / Faridis Farabi / Iran
nader.mohammadi67@gmail.com

Abstract

Delving into the Holy Quran and extracting its sublime meaning requires a multifaceted investigation. These hidden concepts and evidences which are revealed through the exalted expressions and embellished by eloquence techniques make it greatly impressive. One of these techniques is that of precedence and postposition which has been abundantly used in the Noble Book of Quran. So if we observe the Quranic chapters, specifically the long chapters and the subjects mentioned therein, we will realize the purposes behind precedence and its major reasons. In this behalf, this article seeks to pursue this subject in the holy chapter of "Al-Mu'minun" based on the behavioral approach. The results in this article indicate that magnifying a specific point or person, as well as adequateness, abundance, emphasis, restriction and assonance are the mostly used techniques in this noble chapter. Hence, undoubtedly, each specific topic exerts an influence in its eloquence purpose. By investigating the general subject of the chapter, we can get to the core of eloquence concepts much easier. The general topics mentioned in this chapter are the beliefs' principles such as monotheism, life after death and other topics related to these principles.

Key Words: The Holy Quran, Al-Mu'minun Chapter, Composite Defamiliarization

الملخص:

إن الغور في بحر القرآن الكريم واستخراج معانيه الرفيعة يحتاج إلى دراسة متعددة الجوانب، وهذه المعاني والدلائل المخفية تظهر من خلال الألفاظ الراقية بالإضافة إلى تزيّنها بالأساليب البلاغية تجعلها مؤثرة بشكل هائل. إن أحد هذه الأساليب هو التقديم والتأخير والذي استخدم بكثرة في كتاب الله الجليل. فإذا أمعنا النظر في السور القرآنية خاصة السور الطوال والمواضيع المذكورة فيها، تتبين لنا أغراض التقديم وأسبابه الرئيسية. ومن هذا المنطلق يحاول هذا المقال بناءاً على المنهج الأسلوبي متابعة هذا الموضوع في سورة «المؤمنون» المباركة. ومن النتائج التي حصل المقال عليها أن التعظيم لأمر أو لشخص معين، وأيضاً المناسبة والكثرة والتأكيد والاهتمام والقصر والسجع هي من أهم الأغراض المستخدمة في هذه السورة الشريفة. فبالتأكيد أن كل موضوع معيّن يؤثر في غرضه البلاغي، وبدراسة الموضوع الكلي للسورة بإمكاننا أن نصل إلى مغزى الفوائد البلاغية أسهل. والمواضيع الكلية المذكورة في السورة هي أصول العقائد كالتوحيد والمعاد وتدور المواضيع الأخرى ضمن هذه الأصول.

الكلمات المفتاحية: القرآن الكريم، سورة المؤمنون، الانزياح التركيبي، التقديم والتأخير.

المقدمة:

إن الأسلوب حدث يمكن ملاحظته أنه لساني، لأن اللغة أداة لبيان المقصود وهو نفسي أيضاً لأن الغاية هو الحدث. وكذلك اجتماعي لأنه يراعي حال المخاطب. وإذا كان كذلك فإنه يستلزم نوعين من النشاط أولا يتعلق بالمرسل وثانياً يتعلق بالمرسل إليه والمتلقي(عياشي،2009م، ص35). فالكلام إما يكون صريحاً وإما يحتوي على بلاغة عالية المستوى، يدهش المستمع ويزيد في تأثيره عليه. فالأسلوبية تنقسم إلى المستويين اللغوية والدلالية، وعلم اللغة والألفاظ يدرس المستويات الصوتية، الصرفية، التركيبية، المعجمية والسياقية. وفي مستوى الدلالي أو المعنايي، يدرس الانزياح وأقسامه.

"فالأسلوبية تهتم باللغة الأدبية وحدها، وبعطائها التعبيري وتستخدم كي تقنع القارئ وتنال إعجابه، وتشد انتباهه، وتصدم خياله بإبراز الشكل أكثر حدةً وغرابةً وكان القدماء يدرسون طرق الأساليب تحت عنوان علم البلاغة فانتقلت من العصور القديمة إلى العصر الوسيط، ثم تجدّدت في العصر الكلاسيكي وكوّنت أسلوبية هي في آن واحد علم التعبير وعلم الأدب".(جيرو، 2008، ص17)

فكل نص إضافة إلى القيم التعبيرية الملفوظة فيها والمعاني الراقية المخفية خلف الدلائل والكلمات، لها نبرات عفوية مقصودة تزيد النص جمالاً وحيويةً ففي علم البلاغة وبالخصوص علم المعاني يدرس ما وراء النص من مقاصد وأغراض، وذلك هو الهدف الرئيسي من ذلك. فالمتكلم الفصيح البليغ عند حديثه يرمي إلى تأثير الكلام عند المستمع ولهذا يقتضي حاله، فهو يغير أسلوبه الكلامي عند تغيّر حال المخاطب، بتعبير آخر يغير خطابه عند تغير المخاطب. فأسلوبه لايتساوى عند الجاهل والعالم، والتلميذ والأستاذ.

"والانزياح لغةً مأخوذ من مادة زاح زوحاً وزواحاً أي زال وتنحى وتباعد، وزاح الشيء زوحاً: أبعده وأزاحه: نحاه وأنزاح: زال وتباعد. والانزياح مصطلح غربي وافد إلينا من الدراسات الأسلوبية الغربية المعاصرة، وهو يعني: الابتعاد بنظام اللغة عن الاستعمال المألوف بحيث يتيح للمتكلم أن يغير صيغ الكلام ويحقق للمتلقي المتعة والفائدة". (متولى،2014م، ص31)

وبتعبير آخر "أن الانزياح هو استعمال المبدع مفردات اللغة وتراكيبها وصوراً استعمالاً يخرج بها عمّا هو معتاد ومألوف بحيث يؤدي ما ينبغي له أن يتّصف به من تفرّد وإبداع وقوة جذب وسرد"(ويس، بلا تاريخ، ص5) فينقسم إلى أربعة أقسام. الانزياح الاستبدالي، والانزياح التركيبي، والانزياح الصوتي، تراسل الحواس.

يتعلق الانزياح الاستبدالي بعلم البيان وينقسم إلى المجاز والاستعارة، الكناية والتشبيه. وأما الانزياح التركيبي يتحدث عن علم المعاني أي المعاني الثانوية للكلام. والانزياح الصوتي هو في الأصوات والحروف والكلمات. وتراسل الحواس بمعنى تحويل الصور من صور إلى أخرى. وهو ينقسم إلى ثلاثة أقسام. الصورة الأولى هي الصورة البصرية المحولة إلى الصورة الذوقية، والصورة الثانية هي الصورة السمعية المحولة إلى الصورة الذوقية، والصورة الثالثة هي البصرية المحولة إلى اللمسية. فالانزياح عموماً هو العدول عن مقتضى ظاهر الكلام لقصدية خاصة.

وتختلف تعابير العرب باختلاف الأهداف والأغراض البلاغية فتقدم وتأخر لأسباب تطرق إليها علماء النحو والبلاغة من زمن بعيد وهذا الموضوع قد أبدى اهتمامه في الانزياح التركيبي، فبما أن للجملة أركانا أساسية ولكل ركن موقعه الخاص في الجملة فالتقديم والتأخير يكون محط الأنظار وبذلك نكتشف أسرار البلاغة المخفية من خلال الألفاظ. وجديربالذكر أن الجملة الاسمية عند العرب تتكون من المسندإليه والمسند، وومن المفروض أن يتقدم المسند إليه على المسند، ولكن في بعض الأحيان ولأسباب غرضية خاصة يتم التقديم والتأخير.

وعلى سبيل المثال، في جملة (في الدار رجل) تأخير الخبر يكون لقاعدة نحوية محكمة والتي تعتقد بأن الجملة لا تبتدئ بالنكرات، فتقديم الخبر يكون لتخصيص المبتدأ. ففي هذه الجملة لا يسأل عن سبب التأخر بل إذا كان تأخر المبتدأ في جملة صالحاً بأن يبتدأ بها نحو:(في الدار أخوك). فالتعبير الطبيعي أن المبتدأ يتقدم على الخبر. فإذا تقول (زيد في الدار) فهذا إخبار أولي عن زيد لمخاطب خالي الذهن ولكن إذا قلت (في الدار زيد) فكأنما المخاطب ينكر وجود زيد في الدار، أو يظن أن زيدا في مكان آخر.(سامرائي، 2011م، صص139-138)

والبحث عن هذا الموضوع في القرآن الكريم له ميزة خاصة. فالله تبارك وتعالى عندما قدم ركنا، قدمه لأسباب ومقاصد لم يظهر في أصل العبارات والكلام بل لمس المخاطب العربي اللغة، ذلك بأسلوب خفي وظريف بحيث زاد في تأثره وجماله اللغوي والدلالي. ففضلاً على جمال القرآن في نغم الصوت الذي ينبعث من التقديم والتأخير في نصه المبارك، يزداد ذلك جمالاً وحيوية في المعاني الراقية بحيث لم يمل المخاطب من سماع تلك الأقوال المؤثرة بهذه الأساليب البلاغية الراقية بمرور الزمن والتاريخ.

أسئلة البحث:

1) لماذا استخدم القرآن الكريم أسلوب التقديم والتاخير في سورة «المؤمنون»؟
2) أي غرض تستخدم أكثر في هذه السورة المباركة بشكل إجمالي؟
3) ما هو السبب الرئيسي في استخدام التقديم والتأخير في هذه السورة الشريفة؟

فرضيات البحث:

1) استخدم القرآن أسلوب التقديم والتأخير في سورة « المؤمنون» لأغراض أهمها وأشخصها التأكيد والاهتمام والقصر والسجع وأغراض أخرى.
2) إن أكثر الأغراض التي ظهرت في سورة « المؤمنون» هو التعظيم.
3) تبين السورة صفات المؤمنين فنجد أن أكثر الأغراض استخدماً في هذه السورة هو التعظيم.

خلفية البحث:

بحثنا عن سورة «المؤمنون» عامة في المواقع الاكترونية للجامعات المعروفة في ايران ولم نر شيئاً ولكن ساعدنا كتاب الإتقان في علوم القرآن للإمام السيوطي في تقسيماته حول التقديم والتأخير وآراء السامرائي في كتابه المعروف، معانى النحو اجمالاً.

سورة « المؤمنون»

إن سورة «المؤمنون»، سورة مكية عدد آياتها مائة وثماني عشر آية. ختم الله السورة التي قبلها وهي سورة الحج، بتكليف عبادي وأُفتتحت هذه السورة بتفصيل تلك الجملة وبيان تلك الأفعال الواجبة عند المؤمنين (الطبرسي،1403هـ، ص98).

والموضوعات المطروحة إجمالاً في سورة «المؤمنون» هي العقائد والتوحيد والمعاد. واحتوت السورة بشكل مفصل وبترتيب عدد آياتها أولا عن قصص إرسال الرسل وتكذيب الأقوام لهم والاعتبار من ذلك، وثانياً حال الكافرين والمؤمنين، وثالثاً المشاهد والمناظر الطبيعية الدنيوية وأخذ العبرة منها، ورابعاً أحداث الموت ويوم القيامة، وخامساً مراحل خلق الإنسان وتبيان عظمة الله سبحانه وتعالى وقدرته في تطوير هذا الخلق وربطه بحالة البعث والنشور والاتعاظ من ذلك، وسادساً آيات القدرة والكبرياء الإلهية التي تنزه الله تبارك وتعالى عما يصفه الكفار والمشركون.

ويبدو أن دليل تسميتها بهذا الاسم هو أن هذه السورة ابتدأت بتوضيح صفات المؤمنين فبرزت هذه الآيات أكثر.

أغراض التقديم والتأخير في سورة «المؤمنون»:

1) التعظيم:

يحصل تقديم الأركان أو المواضيع في بعض الأحيان، من أجل تعظيم الشيء أو رفع شأنه.

مثال ذلك يقول الله عزوجل "الَّذِينَ هُم فِي صَلَاتِهِم خَاشِعُون"(2)، هنا قدم الجار والمجرور المعمول على العامل، هذا التقدم هو إظهاراً لأهمية الصلاة وتعظيم أمرها، وأيضاً ذكر الخشوع بصيغة اسم الفاعل لإبانة الثبوت في صلاتهم. فضلاً على تعظيمهم للصلاة، وأداءها بأفضل شكل ممكن، لذلك تقدمت هذه الصفة على سائر صفات المؤمنين لأهمية الصلاة من بين سائر الأعمال والفرائض ولكونها عمود الدين وتبيان عظمتها بتكرارها وذكرها في أول الآيات التي وصفت ميزات المؤمنين وآخرها بقوله تعالى:" والَّذِينَ هُمْ عَلىَ صَلَوَاتِهِم يحُافِظُون"(9)، فقدم هنا المعمول على العامل كالآية السابقة لإظهار عظمة اهتمامهم بالصلاة واستمراريتهم في أدائها.

يتقدم أحياناً مجرور على مجرور آخر وذلك لغرض تعظيم الأول، فقال في الآية الكريمة:"ثم أَرْسَلْنَا مُوسىَ وأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وسلطان مُّبِينٍ"(45)، "إِلىَ فِرْعَوْنَ ومَلَائهِ فَاسْتَكْبَرَواْ وكأنواْ قَوْمًا عَالِينَ"(46) في هاتين الآيتين قدم الله تبارك وتعالى (آياتنا وسلطان مبين) على (إلى فرعون وملائه) وذلك للتاكيد أنهم قد أُرسلوا بآيات وسلطان مبين وعلى الرغم من عظمة تلك الآيات ووضوحها، نواجه طغيان فرعون وملائه. فالمحور الرئيسي هنا هو الإرسال بالآيات والدلائل الواضحة إلى فرعون وقومه ولكن النتيجة أن هؤلاء استكبروا وطغوا وقد ملأ الباطل عيونهم وأفكارهم ولهذا قدم (آياتنا وسلطان مبين) لكونها واضحة وصريحة فأخّر

فرعون وملائه لحط منزلتهم وشأنهم. و بالمقابل نجد أن فرعون عظم شأن نفسه واتباعه بقوله: " فَقَالُواْ أَنؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُون"(47)، فكان يعتقد أن شأنه شأن الإله بالإضافة إلى معنى التفضل والترفع على موسى وقومه في الآية الشريفة، فقدم معمول (لنا) لتعظيم شأنه ومقامه وعدم قبوله رسالة النبي موسى(ع)، علاوة على ذلك استخدام ضمير(نا) يبين أن فرعون تغطرس وتكبر في أفعاله حتى ظهر ذلك في أقواله، لكنه لم يفلح في نهاية المطاف.

ونرى تبييناً لشموخ وكبرياء الله تبارك وتعالى، استخدم ضمير (نا) للعظمة بدل استعمال ياء المتكلم وقدم ذلك الخبر على المبتدا لزيادة العزة والعظمة في الآية المباركة: "... ولَدَيْنَا كِتَابٌ يَنطِقُ بِالحقِّ..."(62) وتقدم (لدينا) على (كتابٌ) لإظهار شأن الكتاب وهيبته وقد خصّ وجود الكتاب عنده بهذا الأسلوب البلاغي الرفيع.

وفي آيات أخرى نجد أن الله سبحأنه وتعالى أراد تعظيم أعمال الصالحين الحسنة وتحقير أعمال الكافرين الرذيلة بتقديمها فيقول في الصالحين:" يَأَيهُّا الرُّسُلُ كلُواْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ واعْمَلُواْ صَالِحًا إني بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيم"(51)، قدم (بما تعملون) على (عليم) أي أعمالكم الطيبة الصالحة ذات الشأن الجليل العظيم التي بها فوز الدنيا والآخرة، هناك آية أخرى في هذا المضمون يؤيد ذلك فيقول تعالى: "أولَئكَ يُسَارِعُونَ فِي الخيراتِ وهُمْ لهَا سَابِقُون"(61)، إضافة إلى معنى الآية الشريفة التي تؤيد معنى المنظور، تبياناً أنهم يسارعون في إنجازها ويعظِّمون قدرها ويهتمون بها كل الاهتمام، قدم الجار والمجرور (لها) على متعلَّقهما وهو (سابقون) لهذه الأغراض البلاغية.

وعكس ذلك المعنى نجده في الآية المباركة: " بَلْ قُلُوبهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَذَا ولهُمْ أَعْمَالٌ مِّن دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُون"(63) بالإضافة إلى كفرهم وطغيانهم على الله، لهم ذنوب ومعاص معادية للحق (طبرسي، 1413، ص178)، فتقديم المسند (لهم) على المسند إليه (أعمالٌ) وتقديم المعمول (لها) على العامل (عاملون)،كلها يوضح أن كل شخص يحشر مع عمله وهي مخصصة له وأن أعمال هؤلاء الكفار عظيمة الجرم عند الله ففيها تكذيب لآياته وعصيانه تعالى. «و بإمكاننا أن نلاحظ في هذه الآية المباركة أن لهذا التقدم فائدة الاختصاص أو القصر أو الفاصلة».(ابن عاشور،ص65) وفي آية شريفة أخرى " فَتَقَطَّعُواْ أَمْرَهُم بَيْنهَمْ زُبُرًا كلُ حِزْبٍ بِمَا لَدَيهِمْ فَرِحُون"(53)، إضافة إلى معنى الآية وإظهاراً لضعف عمل الكافرين والجماعات الغير المسلمة قدم المعمول (بما لديهم) على العامل (فرحون) وكأنما هم يحسوبها عظيمة القدر ولكن أعمالهم كسرابٍ يحسبه الظمأن ماءاً حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً. وفي آية مباركة أخرى يقول تعالى: "وَ لَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَأواتُ والْأَرْضُ ومَن فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُون"(71) هنا قدم المعمول (عن ذكرهم) على العامل(معرضون) تاكيداً لإعراض الكافرين عن الذكر ومدى عظمة قبح هذا الأمر فهو يذكر ذلك بعد ما يقول بأن أهواءهم التي تريد أن يتعبها الحق تفسد السماوات والأرض جميعاً. أو في آية أخرى: "أَ لَمْ تَكُنْ ءَايَاتِي تُتْلىَ عَلَيْكمُ فَكُنتُم بهِا تُكَذِّبُون"(105)، ذكر المعمول (بها) قبل العامل (تكذّبون) لإظهار عظمة تلك الآيات والحجج التي كذّبوها ولم يتبعوا ما أمروا به، إضافة إلى معنى الآية وتوبيخاً لهم، ضُمِّن هذا التقديم المعنى البلاغي المذكور أيضاً.

وفي آيات عديدة تبين أن المؤمنين كرروا كلمة (الرب) والتي تحتوى مضمون الصاحب والمالك بآيات مضامينها الاسترحام والإيمان ويقينهم بالآخرة وقدموها على عاملها فيقول تعالى: "إن الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبهِّم مُّشْفِقُون"(57)، قدم المعمول (من خشية ربهم) على العامل (مشفقون) وهذا دلالة على عظمة خشيتهم من ربهم، "وَ الَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبهِّمْ يُؤْمِنُون"(58)، قدم المعمول (بآيات ربهم) على العامل (يومنون) لإيضاح يقينهم بها وعرفان عظمة تلك الآيات "وَ الَّذِينَ هُم بِرَبهِّمْ لَا يُشْرِكُونَ"(59)، قدم (بربهم) على (لايشركون) وذلك يؤكد بأنهم يؤمنون به و يخشعون له ويكبرونه ويعظمونه كل الإيمان والخشوع." والَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَواْ وقُلُوبهُم وَجِلَةٌ أَنهَّم إِلىَ رَبهِّم رَاجِعُون"(60) تقديم (إلى ربهم) على (راجعون) تاكيداً ليقينهم برجعتهم إلى ربهم وتعظيمهم إياه." وتقديم المجرورات الثلاثة على عواملها للرعاية الفواصل مع اهتمامها بمضمونها"(ابن عاشور، ج 18، ص:63)

2) الاختصاص والقصر:

جدير الذكر أن في التقديم والتأخير بشكل عام يوجد الاختصاص والقصر بدلالة خفية ولكن في بعض الآيات ظهر هذا الغرض وتبلور أكثر وهنا نذكر الآيات التي تضمنت في معانيها الإختصاص والقصر وتغلب هذه القصدية في الآية الشريفة.

فعلى سبيل المثال:"وَ هُوَ الَّذِی یحُیي ویُمِیتُ ولَهُ اخْتِلَافُ الَّیْلِ والنَّهَارِ أَ فَلَا تَعْقِلُون"(80) هنا تقديم المسند أي الجار والمجرور (له) على المسند إليه (اختلاف) للقصر، أي له اختلاف الليل والنهار لا لغيره، أي فغيره لا تحق له الألوهية ولما كانت هذه الأدلة من نظر فيها علماً بأن الإله واحد والبعث واقع لا محالة وكأن المقصودين بالخطاب قد أشركوا لأن في نهاية الآية يقول(أفلا تعقلون) فأنكر عليهم عدم العقل بالاستفهام الإنكاري. (ابن عاشور، ج18، ص68)

أو في آية أخرى:" قُلْ مَن بِیَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شيءٍ وهُوَ یجُیرُ ولَا یجُارُ عَلَیْهِ إن كُنتُمْ تَعْلَمُون"(88) أولا استخدام وزن المبالغة للملك يوضح مدى عظمة ذلك الملك، وثانياً إستخدام كلمة (يد) يبين القدرة والكبرياء الإلهية، وثالثاً تقديم (بيد) على (ملكوت) يظهر لنا أن هذا الملك والجبروت كله يختص بيده فقط ولاغير.

ويذكر الابل ونعمه على العباد بسبب شهودها بينهم آنذاك، يقول تعالى:"وَ إنّ لَكمُ فِي الْأنعَامِ لَعِبرةً نُّسْقِيكمُ مِّمَّا فِي بُطُونهِا ولَكمُ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ ومِنهَا تَأْكلُون"(21)،"وَ عَلَیهْا وعَلَىَ الْفُلْكِ تحمَلُون"(22)، ذكر تبارك وتعالى أن في الأنعام عبرة لكم أيها المعتبرون وتقديم المعمول للفاصلة أو الحصر(الآلوسي، ج9، ص:222).

أو في آية أخرى قال تعالى:" وهُو الذي ذَرَأكُم في الأرضِ وإليه تُحشرَون"(79) تقديم الجار والمجرور (إليه) على (تحشرون) في المضمون تعريض بالتهديد بأنهم محشرون إلى الله أكيداً فهو يجازيهم (ابن عاشورا، ج18، ص:86) ولكن التقديم هنا يفيد الاختصاص بأنكم تحشرون إلى الله تعالى فقط.

في آية أخرى يحقر الكفار بقوله تعالى:" فَاتخَّذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتىَّ أنسَوْكُمْ ذِكْرِی وكُنتُم مِّنهُمْ تَضْحَكُون"(110) تقديم المعمول والجار والمجرور (منهم) على العامل (تضحكون) إضافة إلى محتوى الآية الشريفة التي تتضمن معنى احتقار وإهانة أهل الكفر أهلَ الإيمان، زاد هذا التقدم تأكيداً دون شك واختصاصاً بتلك فئة المتكبرين وبئس مثواهم.

وفي آية مشابهة المضمون يبين ذلك باستخدام حروف الجر المنظورة، فيقول تعالى: "تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وهُمْ فِيهَا كَالِحُون"(104)، قدم المفعول به(وجوهَهُم) على الفاعل (النار) والجار والمجرور (فيها) على العامل (كالحون) لدلائل عدة: أولا بتدبر الآية نرى أن الكافر لا سبيل له في نجاته أبداً وأن العذاب محاطاً به من كل جانب وذلك باستخدام حرف جر (في) الظرفية، ثانياً يظهر لنا مدى صعوبة الموقف آنذاك بتقدم المؤخر وأن وجوههم سوف تشتعل ناراً بأجمعها وهم فى جوفها كالحون خالدون ولهذا التقديم أسلوب بلاغي جميل يفيد الوضاعة والخساسة والتخويف. أو في آية متشابهة المضمون والحرف يذكر تعالى: "وَ مَنْ خَفَّتْ مَوَازِینُهُ فَأولَئكَ الَّذِینَ خَسِرُواْ أنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُون"(103) وهنا استخدم حرف جر (في) الظرفية تبياناً لمعنى الجوفي في العذاب وقدمها على الفاعل زيادة للمعنى المذكور.

3) التشريف:

بمعنى أن يتقدم ركن أو موضوع إظهاراً لشرف ذلك الشيء أو قدسيته.

نرى هذا المنظور في الآية الثانية من هذه السورة المباركة بقوله تعالى:" الذين هُم فِي صَلاتِهِم خَاشِعُون"(2)، فقدم هذه الصفة على سائر ميزات المؤمنين في قوله تعالى: "وَ الَّذِینَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ"(3)،"وَ الَّذِینَ هُمْ لِلزَّكَوةِ فَاعِلُونَ"(4)،" والَّذِینَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُون"(5)،"وَ الَّذِینَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وعَهْدِهِمْ رَاعُون "(8) فبإمكاننا القول إن تشرفاً للصلاة واهتماماً لذكرها تم تقديم هذه السمة العالية على سائر الصفات. وأيضاً ذكر هذه الصفات قبل ذكر تكوين الإنسان في الآيات 12 و13و14، يظهر بأن شرف الإنسان بجماله الباطني والإيماني لا بجماله الظاهري الصوري. "إن تكرير الصفات هو تقوية للثناء عليهم وتقديم الظرف يفيد الحصر في نفس الوقت. بالمناسبة في الآية الرابعه لهذه السورة المباركة بعد وصف المؤمنين بأنهم خاشعين في صلاتهم ذكرت الزكاة وأنهم فاعلون له، ليدل ذلك الغاية في القيام على الطاعات البدنية والمالية". (الكاشاني، ج4، ص425)

4) الحث على الأمر المقدَّم والحض على القيام به:

بمعنى أن التقدم يكون لحث المستمع على القيام بأمرٍ ما.

فهنا تبدأ السورة بحض المسلمين على تمثّلهم بصفات المؤمنين، فيبدأ بقوله: "قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُون"(1)، فيجلب انتباه السامع أولا ويذكر فلاح المؤمنين مؤكداً ذلك ب(قد) التحقيقية والفعل الماضي ويذكر صفاتهم بترتيب أهميتها فيحرّض المستمع بهذه الآية

على أنك أيها المستمع إذا أردت الفلاح المؤكد التام، كن مؤمناً، " الَّذِينَ هم في صلاتهِم خاشعون"(2)، "وَ الَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ"(3)،"وَ الَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوةِ فَاعِلُونَ"(4)،" والَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُون"(5)،"وَ الَّذِينَ هُمْ لِأَمَأناتِهِمْ وعَهْدِهِمْ رَاعُون "(8)، فهذه الآيات تبدأ السورة بتحريض المسلمين على المواظبة في قيام هذه الأعمال الأساسية لنيل الفلاح الدائم فكل هذه الصفات المذكورة قيلت على وزن إسم الفاعل وذلك لبيان الرسوخ الدائم والثبوت اللامنقطع للمؤمنين في قيام هذه الصفات.

تشمل السورة إضافة إلى ذلك، صفات أهل الجنة وأهل النار ولكن ذكر الله تبارك وتعالى سمات المؤمنين قبل سمات الكافرين وذلك أن فطرة الإنسان تميل إلى الفلاح والنجاح وتطلبه بكل الأحوال. فلو أن الكافر كان يعتقد بالنار كل الاعتقاد لما فعل ما فعل وعصى ربه وخالف الأوامر. فتقديم آيات أهل الجنة على أهل النار لأجل حث الإنسان على اتباعه للفطرة الإلهية ولا يلوث روحه السلمية التي أودعها الله في نفسه ومن الممكن أن استماع الكافر لهذه الآيات سوف تشوقه على القيام بها شيئا فشيئا.

5) التحقير:

إن الغرض في تقديم ركن أو موضوع خاص يكون أحياناً بسبب تحقير ذلك الشيء وحط منزلته وشأنه.

إن الله تعالى في بعض الآيات يذكر عذاب أهل النار ويضفي إلى ذلك دناءتهم بتقديم المؤخر في قوله تعالى: "لَا تجَئَرُواْ الْيَوْمَ إنكمُ مِّنَّا لَا تُنصَرُون"(65)، قدم هنا المعمول (منّا) على العامل (لا تنصرون) وذلك يبين أن الله يمنّ على الكافرين وأن لا سبيل لنجاتهم أبداً. فأكدت الجملة بكونها جملة اسمية مستأنفة بأن المؤكدة وتقديم (منّا) يزيد في ذلك تأكيداً وفي النهاية يضيف إلى إهانتهم حقارة بتقدم (منّا) ويقطع أملهم بعفوهم نهائياً.

أو في آية مشابهة المضمون، يقول تعالى:"قَالُواْ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وكُنَّا قَوْمًا ضَالِّين"(106) تقدم الجار والمجرور(علينا) على الفاعل (شقوتُنا) وذلك يوضح استعلاء الشيء على الآخر فبهذا التقدم إضافة إلى فحوى الآية في تبيان استرحام واستعطاف أصحاب الشمال والاعتراف بخطئهم وتغلب الشقاء عليهم، أضف إلى ذلك المعنى معنى التغلب التام بتقديم حرف جر (على) الاستعلائية على الشقاء وبذلك تم المعنى المقصود بأحسن صورة.

وأيضا في آية أخرى: "حَتىَّ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيهْم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُون"(77) يؤيد هذا المقصود باستخدام (على) الاستعلائية وتقديمها يخيل لنا أن العذاب انصب فوق رؤوسهم صباً ولا سبيل لنجاتهم أبدا وهذا يدل على تمام الدناءة والخسة.

6) الامتنان والاعتبار:

ظهر لنا في هذه السورة، آيات عديدة تتضمن معاني الامتنان والاعتبار فعند ذكر النعم يذّكر الله العبد ويذكرها بقصد الامتنان والاعتبار بها. فعلى سبيل المثال يقول تعالى بعد ذكر وتبيان صفات المؤمنين وذكر خلق الانسان في رحم أمه وتشكيله مرحلة مرحلة، يقول::"ثمَّ إنكمُ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُون"(15)،"ثُمَّ إنكمُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ تُبْعَثُون"(16) تقدم(بعد ذلك) يعنى بعد كل العظمة والقدرة سوف تموتون ففي مضامينها معاني الامتنان والاعتبار.

أو في آيةٍ أخرى يقول تبارك وتعالى:"وَ لَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكمُ سَبْعَ طَرَائقَ ومَا كُنَّا عَنِ الخلْقِ غَافِلِين"(17)، أولا يحتوى مضمون الآية على أخذ الاعتبار من شيء قريب جداً وليس بإمكان أحدٍ ينكر وجود ذلك للاعتبار، ثانياً ذكر الاعتبار بقوله: نحن لسنا غافلين عن الخلق أبداً، وثالثاً قدم المعمول (عن الخلق) على العامل (غافلين) وبذلك يبين العموم والكلية أي نحن لسنا بغافلين عن كل الخلائق أجمعين.

7) السببية:

ويكون التقديم أحينا لدليل أن المتقدم سبب للمتأخر.

يقول تعالى:" ولَو رَحِمناهُم وكشَفنَا مَا بِهِم مِن ضُرٍ لَلَجّوا في طُغيَأنهِم يَعمَهون"(75) ذكر المعمول (في طغيانهم) قبل العامل (يعمهون) وسبب ذلك أن الطغيان كان دليل انحطاطهم وخسرانهم في الآخرة ويزيد التقديم في ذلك المعنى المنظور " فالسبب الرئيسي لهذه الخسارة هو البغي والطغيان وهو أشد الكبر".(ابن عاشور، ج18، ص:81).

8) الكثرة:

و في آيات أخرى، يكون التقديم بسبب كثرة شيء معين.

فعلى سبيل المثال في هذه الآية المباركة يقول تبارك وتعالى: " فَأَنشَأنا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِّن نخَّيلٍ وأَعْنَابٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ ومِنهْا تَأْكلُون"(19) فقدم ذكر (من نخيل وأعناب) على (فواكه كثيرة) بسبب وجودها وشهرتها بين الناس في الحجاز وكثرة انتفاعهم منها (الطبرسي1413هـ.ق، ج7، ص: 162). وإذا أمعنا النظر في هذه الآية بالخصوص والآيات السابقة لها التي تذكر آيات النعم والبركات، نرى أن هناك نوعاً من الامتنان على الخلق وتشجيعهم على اعتبارهم بذكر تلك النعم الإلهية.

9)المناسبة:

أن يكون التقديم أحيانا للتناسب العقلي فيه.

"وَ الَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وعَهْدِهِمْ رَاعُون "(8) قدم الله تبارك وتعالى ذكر (أماناتهم) قبل (عهدهم) وذلك بسبب أن كل عهد أولا يكون كأمانةٍ على رقبة الشخص فالعهد تتضح بنطقها لسانياً ولكن الأمانة في باله وفكره، وبتعبير آخر كل شخص قبل أن يعهد أمانة يقبلها في ذهنه وبعد ذلك يجري على أساسها العهد المذكور وهكذا تناسب التقدم سياق الكلام. كذلك ذكر صفتهم باسم الفاعل كما في الصفات الماضية لكونها ثبوتية لهم، فهم راعون للأمانات والعهود دائم الدوم.

نتائج البحث:

1) إن أكثر موضوع تطرقت إليه في هذه السورة المباركة، هو إرسال الرسل إلى قومهم، فابتداً السير من قصة النبي نوح (ع) وقصة النبي هود(ع)، وإنتهي ذلك بقصة النبي موسى (ع) وقصة النبي عيسى (ع) فشمل هذا الموضوع واحد وأربعون آية.
2) الموضوع الثاني الذي أخذ مجالاً واسعاً في هذه السورة، هي الآيات التي حول الكافرين ونار جهنم، فأخذ من هذه السورة واحد وثلاثون آية وبعد ذلك الآيات التي تتحدث عن المؤمنين، فخُصّصت لها تسعة عشرة آية من هذه السورة المباركة.
3) وضحنا عدد الآيات في الأغراض البلاغية التي ذكرناها في الجدول لكي يسهل القياس بين ذلك. فكما نشاهد أن أكثر الأغراض استعمالاً هو التعظيم. والدليل على ذلك أن المحور الرئيسي لهذه السورة هو بيان أصول الدين والعقائد ومواضيع حول المعاد والمؤمنين، فتارةً يعظم المؤمنين وتارة يستخدم هذا التعظيم في كلام الكافرين وتعظيمهم أنفسهم وتارةً يبين عظمة أمور كيوم القيامة مثلاً والبعث والنشور.
4) ثاني أكثر غرض ذكر في هذه السورة، هو الاختصاص والقصر.
5) ثالث أكثر غرض هو التشريف والحث على القيام بلأمر و الحض بالقيام عليه.
6) عدد آيات التشريف والحث سواءٌ، والسبب لأن الآيات التي شرفت منزلة المؤمنين وذكرت سماتهم هي نفس الآيات التي حثت المسلمين جميعاً على حضهم وتشجيعهم في أداء أهم واجبات الدين.
7) كما ذكرنا آنفاً أن التقديم والتأخير فيه نوع من الاختصاص والقصر بشكل عام ولكن بشكل خفي ولكن ذكرنا وخصّصنا الآيات التي بلورت هذه الفائدة وزادت من الأغراض هذه أكثر ولكن بشكل عام، هناك 6 آيات برزت هذه الفائدة فيه.

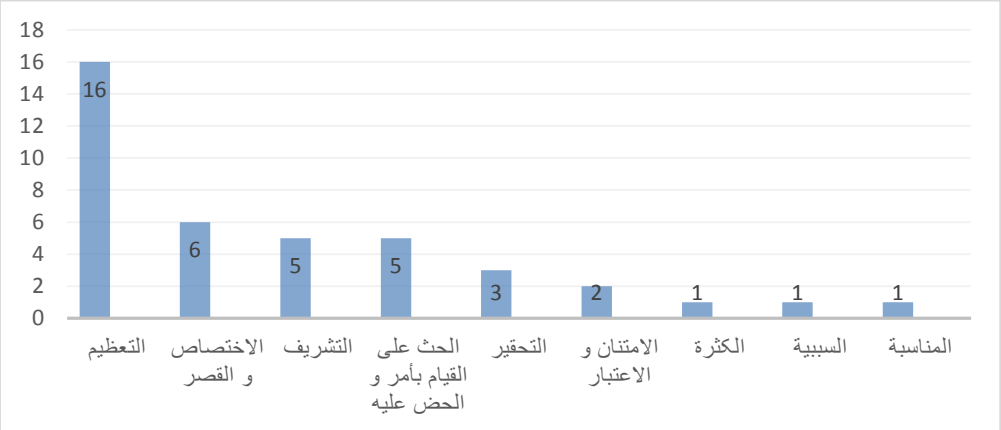

المصادر والمراجع:

1) القرآن الكريم.
2) ابن عاشور محمد بن طاهر، د.ت، د.مكان، التحرير والتنوير.
3) أحمد محمد ويس، د.ت،د. مكان، الانزياح في التراث النقدي والبلاغي، دمشق، إتحاد كتاب العرب.
4) الآلوسي محمود، 1415هـ.ق روح المعاني في تفسير القرآن العظيم،، الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية.
5) السامرائي فاضل صالح، 2011 م،معاني النحو، مجلد الأول، الطبعة الخامسة، عمان، دار الفكر ناشرون وموزعون.
6) السيوطي جلال الدين، 1998م، الإتقان في علوم القرآن،المجلد الثاني، الطبعة الأولى، بيروت، دار الجيل.
7) الطبرسي الفضل بن الحسن، 1413هـ.ق، مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبعة الثالثة، طهران، منشورات ناصر خسرو.
8) الكاشاني فتح الله، 1423هـ.ق، زبدة التفاسير، الطبعة الأولى، قم المقدسة، مؤسسة المعارف الإسلامية.
9) جيرو بييرو، د. منذر العياشي، 2008م،الأسلوبية، الطبعة الثانية، مركز الإنماء الحضاري.
10) درويش محيي الدين ،1415هـ.ق، إعراب القرآن وبيانه، الطبعة الرابعة، سورية، دار الإرشاد.
11) عياشي منذر، 2009م، الأسلوبية وتحليل الخطاب، دمشق– ركن الدين، مركز الإنماء الحضاري.
12) متولى نعمان عبد السميع، 2014م،الانزياح اللغوي أصوله ـ أثره في بنية النص، دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع.